دور عليّ في فتح مكّة

عفيف النابلسي ـ زهير الأعرجي

كان للإمام عليّ عليه السلام دورٌ مهمّ في فتح مكّة، وقد تكفّلت هذه المقالة بذكر هذا الدور عبر قلمين لعلمين جليلين، كلّ منهما يكمّل الآخر.

● **بقلم عفيف النابلسي:**

إنّ الدخول الجماعي في الإسلام الذي شهدته قبائل العرب المتاخمة لبلاد الشام بعد غزوة مؤتة لم يهز قريشاً وحلفاءها، ولم تفكر قريش بما قد تصير إليه الأحوال في قاصِ الجزيرة وأدناها، فظلت على وهمها بأن المسلمين قد هزموا في موقعة مؤتة هزيمةً نكراء، وأنهم باتوا في حالةٍ يرثى لها، أقلها الضعف والهوان وهذا ما أعادها الىٰ مراجعة حساباتها وردّها إلى التفكير بحرب محمد صلى الله عليه وآله، ونبذ مواقفها السابقة معه، وهي المواقف التي أجبرت فيها بعد الحديبية على التخلي عن السيطرة التي كانت لها. وقد أفقدتها تلك المواقف الهيبة التي كانت تتصف بها، وخسرت مكانتها الأولى بعد عمرة القضاء فما عليها إذن والحالة تلك إلا العمل لاستعادة تلك السيطرة كاملة، واسترداد الهيبة والمكانة اللتين كانتا لها غير منقوصتين، وهذا لن

يكون إلا بمقاومة محمدﷺ مقاومةً ضاريةً، والشروع في قتال من دخلوا معه بحكم عهد الحديبية[١].

صلح الحديبيّة :

كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش قد قضى أنّه مَن أحبَّ أن يدخلَ في عهد محمد وعقده فليدخل فيه، ومَن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم فليدخل فيه. وكانت خزاعة قد دخلت في عهد محمد ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكانت بين خزاعة وبني بكر ثاراتٌ قديمةٌ سكنت بعد صلح الحديبية، وانحاز كلٌّ من القبيلتين الىٰ فريق المتصالحين، فلما كانت مؤتة ـ وصل لقريش أن المسلمين قُضي عليهم ـ خُيّل الىٰ بني الدِّيل من بني بكر بن عبد مناة أن الفرصة سنحت لهم، ليصيبوا من خزاعةبثاراتهم القديمة، وحرّضهم على ذلك جماعة من سادات قريش منهم عكرمة بن أبي جهل، وأمدوهم بالسلاح.

وقوع الحرب :

وبينما خزاعة ذات ليلة على ماء لهم يدعى الوتير إذ فاجأتهم بنو بكر فقتلوا منهم جماعة، ففرت خزاعة الىٰ مكّة ولجأوا الىٰ دار بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي، وشكوا له نقض قريش، ونقض بنيبكر عهدهم مع رسولاللهﷺ، وسارع عمرو بن سالم الخزاعي فغدا متوجهاً إلى المدينة حتى وقف بين يدي محمدﷺ وهو جالس في المسجد فقال :

لا هُمَّ إنّي ناشدٌ محمدا ... حلفَ أبينا وأبيك الاتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
هم بيتونا بالعراء هجّدا ... فقتلونا ركعاً وسُجّدا

فقال له النبيّ ﷺ : نُصرت يا عمرو بن سالم !

ثم خرج بُديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا المدينة فأخبروا

النبيّ ﷺ بما أصابهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، عند ذلك رأى النبيّ ﷺ أن ما قامت به قريش من نقض عهده لا مقابل له إلا فتح مكّة.

وعاد وفد خزاعة فرحاً بما حظي من التأييد، وظهرت مخاوف قريش، واجتمع حكماؤها وقرروا بعث أبي سفيان لتجديد العهد، وتمديده الىٰ عشر سنوات.

أبو سفيان في المدينة :

تأهب أبو سفيان، وسار من وقته وساعته حتى وصل المدينة على وجل خصوصاً بعدما رأى بُديلاً ورفاقه على بعض المياه، وجعل وجهته ابنته أمَّ حبيبة زوجة النبيّ ﷺ التي تزوجها النبيُّ بعدما تركها زوجُها وتنصر في أرض الحبشة فخطبها إلى النجاشي. وعادت بعد فتح خيبر مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام وجماعته الذين كانوا مهاجرين إلى الحبشة.

وأمُّ حبيبة كانت قد عرفت ما حدث، وعرفت ما نوى عليه النبيُّ ﷺ، فلم تهتم بأبيها المشرك. ولما أراد أن يجلس على فراش النبيّ ﷺ طوته عنه فسألها أبوها: أطوته رغبةً بأبيها عن الفراش أم رغبةً بالفراش عن أبيها ؟

فكان جوابها : هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحبّ أن تجلس عليه. وفوجئ أبو سفيان بما لم يكن يتوقعه من ابنته التي وجهت إليه صفعةً جعلته ذليلاً مهيناً فقال لها : لقد أصابك بعدي شرٌّ، قالت : بل هداني الله تعالى للإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر، وا عجباً منك وأنت سيد قريش وكبيرها ! قال : أأترك ما يعبد آبائي وأتبع دين محمد ؟

وخرج أبو سفيان بعد هذه الصفعة مكلوم الفؤاد مضعضع الفكر، مهزوز الجانب مهيض الجناح، لا يدري ماذا يفعل، أيرجع قبل أن يحقق شيئاً، أو يستمر في محاولة يائسة. فذهب إلى المسجد لعلّه يرى محمداً ﷺ ودخل على الفور يكلمه في توثيق المعاهدة وزيادة المدة، إلا أن الرسول ﷺ لم يرد عليه بشيء، وألح أبو

سفيان والنبي ﷺ لا يجيب، وأصابته الحمى من هذه الصفعة الثانية فخرج على بعض مَن كان يعرف من الصحابة، فلم ير من يساعده على مهمته، أو يتكلم مع النبيّ ﷺ حوله.

دور عليّ عليه السلام :

الدور الأول:

وكان لابدّ لأبي سفيان ـ الذي يعرف مواقع القوة ـ من أن يلجأ الىٰ بيت عليّ حيث دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فوجده مع زوجته وعندهما ولداهما الحسن والحسين عليهما السلام.

فقال : يا علي ! أنت أمسُّ القوم بي رحماً، قد جئتُ في حاجة ؛ فلا أرجعنّ كما جئتُ خائباً، اشفع لنا عند محمد ﷺ.

فقال علي عليه السلام : ويحك يا أبا سفيان ! والله، لقد عزم رسولُ الله ﷺ على أمر فلا نستطيع أن نكلّمه فيه.

وأدرك أبو سفيان حراجة الموقف فالتفت الىٰ فاطمة عليها السلام قائلاً : وأنت يا بنت محمد ! هل لكِ أن تأمري ابنك هذا ـ يعني الحسن ـ فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الىٰ آخر الدهر ؟

قالت فاطمة عليها السلام : والله، ما بلغ ابني هذا أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

قال : يا أبا الحسن ! إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحني.

فقال : والله، ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

قال : أو ترى مغنياً عني شيئاً ؟!

قال أبو الحسن : لا والله، ما أظنّ ؛ لكني لا أرى غير ذلك.

وقام أبو سفيان فأتى المسجد، قائلاً : أيها الناس ! إني قد أجرتُ بين الناس،

ولم يلبث أن خرج بركب بعيره، وينطلق عائداً الىٰ مكة، خالي الوفاض، يجرّ أذيال الخيبة والهزيمة، إذ لم يستطع أن يحقق شيئاً مما جاء اليه.

وقدم أبو سفيان على قومه، فسألوه ما وراءك يا أبا سفيان ؟

قال : جئت محمداً فكلمته، فو الله، ما ردَّ علي شيئاً، ثم جئت بعض أصحابه فوجدتهم أعدى الناس إليّ، ثم جئت عليّ بن أبي طالب فوجتُه ألينَ القوم، وقد أشار عليّ بشيءٍ صنعته، فو الله، ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا ؟

قالوا : وبما أمرك ؟

قال : أمرني أن أُجير بين الناس ففعلت.

قالوا : فهل أجاز محمدٌ ذلك ؟

قال : لا.

قالوا : ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنا ما قلت[٢].

أرأيت إلى علي الشاب النابغة الذي يزن الرجال بميزان، ويعرف كيف يضرب ضربته الذكية ؟ فهو كمن يطعن خصمه في المعركة فيرديه بكلامه وموقفه ودرايته، ويجعل الخصم المجرب قائد القوم وكبيرهم ولداً وطفلاً لا يدري ماذا يفعل. أرأيت علياً كيف طعن خصمه السياسي دون أن يخرج السيف من غمده ؟ أرأيت إلى العقل الموجه، كيف يفعل فعلته فيشوش على خصومه ما يجعلهم حيرى لا يدرون ما يفعلون ؟

هكذا تعامل علي العبقري الشاب مع شيخ قريش وسيد كنانة، وأرجعه طفلاً. وهكذا فهم أبو سفيان، وفهم معه قومه أن علياً لعب بأبي سفيان، وضربه ضربةً موجعة بعد الضربتين اللتين تلقاهما من ابنته أمّ حبيبة ومن الرسول ﷺ هذا هو الدور الأول الذي لعبه علي لتسفيه أبي سفيان واذلاله وجعله كالطفل الصغير.

الدور الثاني:

بدأ رسول الله ﷺ يخطط لغزو مكة وفتحها، فأمر بشحذ السلاح وجمعه،

وبعث إلى القبائل المحيطة بالمدينة أن يتأهبوا ويأتوا إلى المدينة، فكانت الوفود تأتي ولكنها لا تعرف وجهة المسير، ووضع الحرس والعيون على المدينة يراقبون كل خارج منها وكلّ داخل إليها، ويفتشون من يمرّ ليلاً ونهاراً. وبينما هو يتهيأ للمسير نحو مكة تسرّب الخبر الىٰ أحد أصحابه وهو حاطب بن بلتعة الذي رأىٰ أن رسول الله إذا ذهب بهذا الجيش الجرّار الىٰ مكة ربما تكون نهاية قريش وعزّ عليه ذلك، وكان له فيها أرحام وأقارب، وقد تكون العاقبة لقريش فيكون له عندها يد. هكذا أصحاب النفوس الضعيفة يفكرون في علاقات ذاتية حتى في أحرج الأوقات، ويتخذ لنفسه حصناً يأوي إليه عند تقلبات الأحوال، وهكذا يقوم حاطب بن بلتعة بعملية خيانية لا عهد للمسلمين بها، وهي ايصال أخبار عسكرية سرية الىٰ الأعداء.

وفكّر حاطب في ايصال الخبر كثيراً ؛ لأنّه خاف من تفشي الأسرار، وافتضاح أمره، فعمد الىٰ امرأة قينة مغنية أغراها بالمال، وكان هواها في قريش، ولم تكن أسلمت بعدُ، واتفقا على كيفية وضع الكتاب في ضفائرها لقاء أجر باهض ونسي حاطب أن الله مطلعٌ على كلّ شيء، وأن الوحي يوصل الأخبار السرية بأقل من لمح البصر. وكان الكتاب يحتوي على أسرار عسكريّة بالغة الخطورة عن أهمية الجيش، وعدد الفرسان والرجالة، وكثرة السلاح والخيل والبغال والجمال. وخوفاً من التفتيش العسكري وضعت الكتاب مطوياً في ضفائرها، بحيث لا يمكن لأحد حتى ـ لو فتشها ـ أن يهتدي إلى الكتاب، ثم خرجت تسلك طريقاً بعيداً عن عيون الحراس، توهمهم بالحشمة والحياء ، وتتستر بهذه المظاهر، لتخفي جاسوسيتها على الدين وعلى الرسول.

وما إن غادرت المدينة حتى نزل الوحي المبارك يخبر النبي ﷺ بالكتاب، وأين موضعه، وما فعل حاطب، فدهش النبيّ ﷺ لهذه المفاجأة، وهذه الخيانة من أحد أصحاب بدر، فدعا علياً على الفور، قائلاً له : إن أحدَ أصحابي كتب إلى أهل مكّة

يطلعهم على أخبارنا، وقد كنت سألتُ الله عزّ وجلّ أن يعمي أخبارنا عنهم، وقد حملت الكتاب امرأة سوداء فهيا أدركها وانتزع منها الكتاب. ثم استدعى الزبير وقال له: اذهب مع ابن عمتك وأعنه على تخفيف مأربه، وخرج علي ومعه الزبير فأدركاها في (الخُليقة)، وتقدم منها الزبير فسألها عن الكتاب فأنكرت عليه التعرض لها من جانب، والسؤال عما لا يعنيه من جانب آخر، كما أنكرت عليه هذه التهمة الشنيعة، مما جعل الزبير يتردّد أولاً، ثم يعود الىٰ عليّ يُقنعه بأنه ليس عندها شيء، بعدما بكت المرأة لهذا التعرض والإهانة، وبدأت دموع التماسيح على خديها، وأوشك قلب الزبير أن يرقّ لها فارتد نحو عليّ يقول: لَم أرَ معها كتاباً يا أبا الحسن، ولم يلتفت الزبير الىٰ لازم قوله هذا، الذي يعني تكذيب الوحي، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وما كاد عليّ يسمع هذا القول من الزبير حتى غضب وصاح: ويحك يا زبير! يخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأنها تحمل كتاباً، ويأمرني بأخذه منها، ونأتي لذلك ثم تقول أنت: إنه لا يوجد معها كتاب!

وتظهر قدرة علي عليه السلام وفراسته، وتصديقه المطلق الذي لا شك فيه، ويظهر ضعف الزبير وأنه غير صالح للقيام بهذا الدور إلا برفقة علي عليه السلام. ولم يلبث عليّ عليه السلام أن اخترط السيف، وتقدم من المرأة قائلاً وعيناه تقدحان شرراً قائلاً لها:

أَما والله، لتخرجن الكتاب، أو لنكشفنك، ثم لاضربن عنقك بسيفي هذا، وحاولت المرأة أن تراوغ كما راوغت مع الزبير، ولكنها رأت عناداً واصراراً، مما جعلها تتأكد بأن الرجل متأكد من وجود الكتاب الذي تحمله، وأنها إن لم ترضخ للطلب سوف تنال عقابها المناسب، وقد يكون هو الموت، وإزاء هذا التخوف على حياتها قالت له: أعرض بوجهك عني، وأشاح علي بوجهه عن المرأة الماكرة فاذا بها تحل ضفائرها، وتخرج منها الكتاب، ثم تدفعه الىٰ عليّ، فيأخذه عليٌّ عليه السلام دون أن يقول لها شيئاً، ثم يأتي الزبير معه الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يسلمانه الكتاب[٣].

أرأيت معي ـ أيها القارئ ـ موقف الزبير الذي يعني أنه لو اقتنع بكلام المرأة

لكذب رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولكان يعني أن تفشى الأسرار العسكرية الى الأعداء فيعرفون خطط الهجوم فيفشل.

ولكن اليقين الثابت في صدر علي بصدق رسول الله ﷺ هو الذي جعله يقف موقفاً مميزاً وحاداً، وأنه غير مستعد لسماع كلامها، وقبول أي موقف آخر منها؛ لأنه على يقين بأن الكتاب معها. أخبره بذلك من لا ينطق إلا عن وحي يوحي به إلـه السماء والأرض، والمطلع على خفايا الأمور وظواهرها.

وعليّ هو الحريص كلّ الحرص أن يبقى للجيش الفاتح هيبته حينما يباغت الآخرين، ويغزوهم في عقر دارهم لتنهى معركة الفتح دون إراقة دماء. وهيهات هيهات أنى لنا بمثل عليّ وهو النسخة الفريدة والشخصية الوحيدة في عالم اليقين والصدق والاخلاص.

الدور الثالث:

بعدما عثر الإمام علي عليه السلام على الكتاب مع المرأة التي لا تعرف من مضمونه شيئاً، أعمى الأمر على قريش، فلم تعرف شيئاً عن استعداد الرسول ﷺ لفتح مكة، وكان النبي ﷺ قد دعا ربّه أن يعمي أخبار جيشه عن قريش حتى يباغتها كي لا تقع معركة طاحنة في مكة. فالنبي ﷺ يريد الحفاظ على شرف الحرم، وإن كان أهله يستحقون الذبح، لمعاداتهم الشديدة لرسول الهداية، ولكنه محمدٌ رسولُ الإنسانية، المحافظ على القيم. فقد هيأ النبيّ ﷺ كلّ مقدمات المعركة، وأمر الجيوش بالزحف الهادئ، واستمر حتى وصل الىٰ مر الظهران ـ وقيل إنه بالجحفة ـ وهناك أمر الجيش بالنزول، وكان الوقت عشياً فطلب من الناس أن يوقدوا النار، كلّ واحد يشعل ناراً، وكان الغرض من هذا اظهار عظمة الجيش، وقوة العسكر بهذه النار التي ترى من بعيد، حتى تأخذهم الدهشة ولا يفكرون إلا بحماية أنفسهم إما بالإسلام أو بالهروب من المواجهة، ويكون بهذا قد حقّق الفتح الهادئ الذي يحافظ فيه على شرف الكعبة.

وهناك التحق به عمّه العباس، الذي كان بقاؤه بمكة بأمر النبيّ حيث كان يقدم المعلومات عن قريش، ومظاهرها العسكرية وقوتها الاقتصادية، وما كانت تكيد وتدبر لحرب الرسول ﷺ.

ولما رأى العباس عظمة هذا الجيش الفاتح وقوته تأكّد لديه أن الجيش إذا دخل بهذه القوة والعنجهية ستذهب قريش والى الأبد. فكان يحاول أن يساعد النبي ﷺ على الفتح الهادئ حتى لا تراق في هذا الفتح محجمة دم.

وبينما هو غارق في التفكير لاح بخاطره أن يجول على أطراف المعسكر، لعلّه يرى آتياً أو ذاهباً، يمكنه أن يوصل خبراً لقيادة قريش حتى تأتي وتستأمن لدمها وأموالها، فتحفظ قريش ويحفظ الحرم.

وبينا هو كذلك إذا بأبي سفيان ومعه نفر جاءوا يستمعون الأخبار، وقد أذهلهم ما رأوا من نيران حتى أن بعضهم قال: هذه نار خزاعة، قال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل. وينادي العباس أبا حنظلة! فيجيبه أبو سفيان فداك أبي وأمي بعدما عرفه، وهو مندهش من هول ما رأى عدةً وعدداً، ثم خاطبه ما ترى في أمرنا؟ قال: الإسلام ـ التحق بي حتى لا يقتلك الناس، وأردفه خلفه مؤمناً له مانعاً قتله حتى وصل إلى الرسول الأكرم ﷺ، وعرض عليه الاسلام، ولكنه كان صلب الشكيمة، شديد السخيمة يعزّ عليه فقدان اللّات والعزى والهبل الأعلى، وقد حاول عمر بن الخطاب قتله عن طريق إثارة النبيّ ﷺ وأن الله قد أمكن منه بلا عهد ولا عقد، ولكن العباس الحريص على الإسلام رأى الحكمة في بقائه، ليرى عزّة الإسلام، وشرف النبي المطرود، وذلة قريش وصغار أبي سفيان، وطلب من أبي سفيان أن يسلم فتمهل، ولكن النبيّ ﷺ قال لعمّه العباس: أبقه عندك الليلةَ، وآتني به صباحاً.

وفي الصباح أسلم بعد محاورة قصيرة، وقال العباس للنبي: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال النبي ﷺ في معرض توصياته لرؤساء الجند

وقادة الكتائب : مَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومَن دخل بيتَه وأغلق بابه فهو آمن، ومَن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وكان الغرض من ذلك أن يذهب أبو سفيان، ويخذل الناس عن الحرب ويجلس في بيته، لأنه رجل له قوة تحريضية هائلة على اثارة البلابل، فاسكته النبيّ بهذه المكانة المتساوية مع رجل أغلق بابه، ولا شيء غير ذلك.

وفرح أبو سفيان بهذه الرتبة الجديدة والشرف، وذهب مسرعاً إلى مكة يطلب إلى الناس أن يدخلوا داره، وهو لا يعنيه من الشعارات إلا أمان داره، وهو قادر على تجيير الجو لصالحه، فصار يدعو الىٰ داره فقط ليوهم الناس أنه وحده قد حظي بهذا الشرف، وهذا ما جعل الآخرين إما يلتزمون بيوتهم، أو يهربون إلى الجبال المحيطة بمكة.

ويزحف الجيش الإسلامي المقدام، ويدخل مكّة من طرق أربعة يطوقها من كلّ مكان حتى لا يفكر أحد في إراقة دم في بيت الله الحرام، وفي البلد الحرام.

وذكروا أن النبيّ ﷺ كان داخلاً وقلبه خاشع لله على هذا التوفيق، ولسانه يردّد ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً**﴾.

ومضت فرق الجيش تدخل مكة دون أدنى مقاومة، وقد أخذت الحميةُ سعد ابن عبادة الأنصاري وهو يمرّ أمام أبي سفيان بن حرب فقال له : اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى أو تستحل الحرمة. وتردّد قولُه بين المسلمين فنقلوه إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسولَ الله ! ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة. وقيل : إن العباس سمع ذلك فقال للنبيّ ﷺ : يا رسول الله ! أما تسمع ما يقول سعد ؟ فقال النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي ! أدرك سعداً، فخذ الراية منه، وكن أنت الذي تدخل بها مكة. فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه، ولم يمتنع عليه سعد بل دفعها إليه.

ولم ير رسول الله ﷺ أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من

سيد الأنصار سوى أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: واعلم أنه لو رام ذلك غيره، لامتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فسادُ التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين، ولم يكن وجه الرأي تولي رسول الله أخذ الراية بنفسه، وولى ذلك من يقوم مقامه، ولا يتميز عنه، ولا يُعظم أحدٌ من المقرين بالملة عن الطاعة له، ولا يراه دونه في الرتبة، وفي هذا من الفضل الذي تخصص به أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يشاركه فيه أحد، ولا ساواه في نظير له مساو، وكان علم الله تعالى ورسوله في تمام المصلحة بانفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ما كشف به عن اصطفائه لجسيم الأمور كما كان علم الله تعالى فيمن اختاره للنبوة وكمال المصلحة ببعثه كاشفاً عن كونهم أفضل الخلق أجمعين(٤).

وهذا الدور لا يحتاج الىٰ تعليق، لأن وضوح أخذ الراية من سعد لا يتم الّا برسول الله صلى الله عليه وآله حيث لا يتنازل سعد زعيم الأنصار إلّا للنبيّ صلى الله عليه وآله، ولما كان سعد يعرف أن علياً هو الرجل الثاني في الإسلام، وأنه سيصبح الرجل الأول سلم الأمر إليه بلا تنازع.

الدور الرابع:

التفاف الجيش الإسلامي على أطراف مكة المكرمة، مكّن النبي صلى الله عليه وآله من السيطرة العامة على المدينة، حيث لم تحدث أية مشكلة تذكر، وطبقت أوامر النبيّ بعدم سفك الدماء في البلد الحرام.

وأسلم على أثر الفتح سادةُ مكة، منهم حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، وجبير بن مطعم، وأقبل أبو سفيان يركض فاستقبلته قريش، وقالوا: ما وراءك وما هذا الغبار؟ قال: محمد في خلق عظيم، ثم صاح وهو مذعور: يا آل غالب! البيوت البيوت! مَن دخل داري فهو آمن، فعرفت هند زوجته فجعلت تطردهم، ثم قالت: اقتلوا الشيخ الخبيث لعنه الله من وافد قوم، وطليعة قوم. قال لها: ويلك إني رأيتُ ذات القرون، ورأيت فارس أبناء الكرام، ورأيت ملوك كندة وفتيان

حمير يسلمن آخر النهار، ويلك اسكتي، فقد والله جاء الحقّ ودنت البلية.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكة إلا من قاتلهم سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ ﷺ منهم مقيس بن صبابة، وعبد الله بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل، وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً فقتله وقتل مقيس بن صبابة في السوق، وقتل علي عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأخرى، وقتل أيضاً الحويرت بن نفيل بن كعب.

وبلغ علياً عليه السلام أن أُخته أُمَّ هاني بنت أبي طالب قد أوت ناساً من بني مخزوم، منهم الحارث بن هاشم، وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آويتم، فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فخرجت إليه أمُّ هاني وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله أنا أمُّ هاني بنت عمّ رسول الله ﷺ وأخت عليّ بن أبي طالب، انصرف عن داري، فقال: أخرجوهم. فقالت: الله! لأشكونّك الىٰ رسول الله. فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته فقالت: فديتك، حلفت لاشكونك الىٰ رسول الله ﷺ، فقال لها: اذهبي فبرى قسمك فإنه بأعلى الوادي. قالت أمّ هاني: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله ﷺ كلامي، قال: مرحباً بك يا أمّ هاني، قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم، فقال ﷺ وقد فهم ما تريد: قد أجرتُ من أجرتِ، فقالت فاطمة عليها السلام تشكين علياً عليه السلام، لأنه أخاف أعداء الله، واعداء رسوله، فقلت: احتمليني فديتك، فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله سعيه وأجرتُ من أجارت أم هاني لمكانتها من علي بن أبي طالب(٥).

هل قرأت معي كيف نفذ الأوامر، وقتل الأعداء، ولاحقهم ولم يتراجع، ولم يراعِ بذلك بيوت أهله وأقاربه، ولا بيت أخته الوحيدة، التي لم يرها منذ زمن؟

ولكنه عليّ المعروف بفنائه بالحقّ، ومعاداته لأهل الباطل، وهو القائل: ما ترك لي الحقّ صاحباً. فبينا ترى بعض الصحابة يخاف على أهله لتصور شيطاني، أو يخاف على مستقبل وضعه لظنه أو احتماله غلبة قريش، فإذا به يفشي الأسرار العسكرية، أو يتراجع حين البأس ويفرّ من المعركة، أما علي هو هو في المسجد والمحراب وفي المعركة والمواقف مع الأهل والأخت والبنت والأولاد على حدّ سواء، لا يقدم على الحقّ أحداً.

الدور الخامس:

بعدما لوت مكة جيدها، وأذعنت لبيرق النبوة، وتحولت الىٰ سلطة الرسول صلى الله عليه وآله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً حيث خرجت الرجال من مخابئها، وأسلمت وخرجت النساء من خدورهن واسلمن، وانضوى الناس في ظل الرسالة الإسلامية، وعادت مكة الىٰ دورتها الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض، وعاد البلد الحرام حيث يحرم فيها سفك الدماء، وأصبحت واحة الأمان والراحة والاطمئنان، دخل النبي صلى الله عليه وآله فاتحاً لا كما يدخل الفاتحون عنوةً بل كما يدخل الرسل المتواضعون ذاكراً ربّه، ناظراً الى قربوس فرسه، لم يدخل مستعلياً ولا مستكبراً وإنما دخل ذاكراً شاكراً مسبحاً مستغفراً.

وبما أن مكةَ المكرمة كانت مجمع عبادة العرب، ومركز التجمع الصنمي أيضاً، وكان الغرض الأساس من الحرب الفكرية والنفسية والمادية إزالة دولة الصنمية، وتأسيس دولة الإله الواحد الحقّ مكانها، كان لابد من تركيز الألوهية في أذهان الناس، وتحطيم المظاهر الصنمية وقلعها من الأذهان، وتحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها. قال الإمام الرضا عليه السلام ـ كما في البحار ـ وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكة فمر بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: جاء الحقُّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فجعلت تكب لوجهها[٦]. وفي رواية ابن شهر آشوب: إن الإمام علياً عليه السلام صعد على أكتاف

النبي وكسر الأصنام الموجودة على ظهر الكعبة.

واذكر بعض الأبيات التي أرويها من حافظتي، وكنت قد حفظتها قبل أكثر من ثلاثين عاماً، والمصدر الآن غير موجود في مكتبتي التي أحرقها الظالمون.

وهذه هي الأبيات:

قـيلَ لي قـلْ فـي عـلي مِـدَحاً ... ذكـرها يـطفئ نـاراً مـؤصدهْ
قلت هـل أمـدح مَـن فـي فـضله ... حـار ذو اللب الىٰ أن عـبدهْ
والنـبيّ المـصطفى قـال لنـا ... ليـلة المـعراج لمـا صـعَّدهْ
وضـع الله عـلى ظـهري يـداً ... فأحس القـلب أن قـد بَـرَدَهْ

كان هدف الإسلام محو الصنمية من الوجود الخارجي، بل الوجود الذهني أيضاً، والعقيدة الصنمية حالة مستعصية، مركوزة في الذهن والوجدان، وبعضهم رضع عقيدة الصنم وعبادة الصنم مع الحليب فأنّى له أن يترك هذه العبادة ولو كانت خرافة فوقها خرافة؟ والذي عشق الخرافة ورضع الخرافة، لا يراها خرافةً وإنما يراها صحيحة، وهذا هو الجهل المركب. ومشكلة الرسالة كانت مع هذا الجهل المركب، مع التعقيد النفسي والذهني. فهل كان الرسول بإمكانه غرس العقيدة الإلهية دون إزالة العقيدة الصنمية من الأذهان؟ وهل يمكن محوها من الذهن قبل محوها من الواقع؟ ومَن الذي يساعده على هذه المهمة الصعبة إلّا رجل الصعاب، رجل المواقف، إلا عليّ الذي صعد على كتف النبيّ، وحمل فأس النبوة بيده القوية وزنده المتين، حتى كسرها تكسيراً؟ وبذلك تمّ الانتصار الحقيقي للإسلام بازالة كل آثار الصنمية ومحوها من الوجود.

الدور السادس:

سدانة البيت العتيق في الجاهلية والإسلام مكانة مرموقة، وكان أولاد أبي طلحة قد ثبتوا هذا الشرف، ولا ينافسهم فيه غيرهم من قريش وظلوا على ذلك

زماناً، وكان رسول الله ﷺ قد قال لعثمان بن أبي طلحة ـ يوماً من الأيام ـ: ربما يأتي زمان يكون هذا المفتاح في يدي أضعه حيث أشاء، فهزع عثمان بهذا الكلام.

ومن الطبيعي بعد سقوط مكّة وفتحها بهذا الجيش الجرّار، أن يركز فيها المواقع الأساسية كالسدانة والسقاية والولاية وما إليها، وأحسّ عثمان بأن أيامهم انتهت فأغلق الباب، وصعد بالمفتاح على السطح، وكأنه أراد أن يختبئ وينجو بهذا العلو فوق سطح الكعبة قائلاً: لو أعلم أنه رسولُ الله لم أمنعه ـ يعني بقي على عناده بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً ـ وعندها أمر النبيّ ﷺ عليّاً عليه السلام أن يصعد السطح، ويأخذ المفتاح منه، ولما وصل عليّ عليه السلام الىٰ عثمان حاول التمنع، ولكن علياً أمسكه فحاول الانفلات، ولكن هيهات فقد أمسكه ذو قوة لو اجتمع جيش عرمرم على ازالته منه لما أمكنه ذلك، ثم لوى يده وأخذ المفتاح منه، وفتح باب الكعبة ودخل الرسول ﷺ إلى الكعبة فصلى ركعتين، فلما خرج سأله عمّه العباس أن يعطيه المفتاح فنزل قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الىٰ أهلها**﴾ فأمر النبي ﷺ علياً أن يرد المفتاح الىٰ عثمان، فقال: يا علي! أكرهت وأديت ثم جئت برفق. قال لقد أنزل الله عزّ وجلّ بشأنك قرآناً، وقرأ الآية عليه، فأسلم عثمان فأقرّه النبي ﷺ في يده(٧).

كل دعوة تحتاج ـ مهما كانت محقة ـ الىٰ قوة تساندها، قوة المال، وقوة الزند والسيف، وقد كان رسول الهداية محمد ﷺ يحتاج الى الاثنين معاً كغيره من أصحاب الدعوات الصالحة، وقد وفق الله بمال خديجة فانفقته حتى لم يبق منه شيءٌ، وبقي زند علي عليه السلام الذي رافق الدعوة الإسلامية حتى ثبّت أركانها.

وفروسية علي وقوته وشجاعته كانت لا تخفى على أحد، وكانوا يهابونه صغيراً وكبيراً، وإذا تصدى علي عليه السلام لموقف كانوا يعرفونه لا يرجع حتى يفتح الله على يده.

من هنا لم يكن بإمكان عثمان بن طلحة ولا غيره أن يختبئ، أو يصعد على

سطح الكعبة هروباً من وجود هذا الجيش، خصوصاً وجود الذراع التي تطوي الحديد. فهل بإمكانه مقاومة هذا الساعد الذي يحمل الفرس والفارس أو يضرب الفارس المقنع بالحديد فيقده نصفين ؟

ظنَّ عثمان أنه بإمكانه أن يمتنع وهو بعد لم يعرف قدرة علي، وشدّة ساعده، كان يسمع في عليّ وقوته، والآن تحقق له عندما أمسك علي بيده ماذا حلّ به. كيف استلم دون مقاومة كأنه كان أمام أمرين إما أن يقع بدون حركة، أو يقدم المفتاح بدون ضجيج، فكان التسليم للصاعقة الإلهية لسيف علي وساعده ؛ ليدخل النبي الكعبة وليعلن موقفه واضحاً دون قتال في هذا البيت العتيق.

الدور السابع:

لا يكفي أن يفتح النبيّ ﷺ مكة المكرمة ويترك ما حولها من جيوب، يترك المحيط بعيداً عنها عقائدياً وأخلاقياً، بل لابد من الدعوة الشاملة والخير العميم حتى تعود مكة بجوارها وقراها، لتعود أمّ القرى بأولادها وأحفادها كما أراد لها ربّ العزة، تمشي في الطريق السوي ليدخل الناس في دين الله أفواجاً.

ومن هنا عندما هدأت العاصفة، واستتبَّ الأمن في البلد الحرام، وأمن من آمن، وقتل من قتل، وتحقق النصر الإلهي، ونصر الله عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. بث السرايا إلى القرى المجاورة تدعو الناس للإسلام، وكانت القرى ـ التي سمعت بنصر الله، وخذلان قريش ـ على شيء من الاستعداد تنتظر هذه السرايا ؛ لتعلن كلمة التوحيد وتنضوي تحت لواء الدين الجديد.

وكان ممن بعث خالد بن الوليد على رأس سرية الىٰ بني جذيمة، وكانت بنو جذيمة قد أصابت في زمن الجاهلية عوف بن عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة، وكان من أقارب خالد، فلما وصل خالد إلى القبيلة حملوا السلاح في وجهه، فطلب اليهم إلقاء السلاح فلم يقبلوا لخوف من أخذ الثأر منهم، قال رجل منهم يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله، ما بعد إلقاء

السلاح إلا الأسر، وما بعد الأسر إلا القتل، فأخذه رجال من قومه، وقالوا يا جحدم تريد أن تسفك دماءنا ؛ إن القوم قد أسلموا، ووضعت الحرب وأمن الناس وما زالوا به حتى نزعوا منه سلاحه، ووضع القوم السلاح امتثالاً لطلب خالد، فلما وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال : اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد[٨].

ثم دعا علياً عليه السلام فقال : يا علي أخرج الىٰ هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج حتى جاءهم، ومعه مال قد بعثه رسول الله ﷺ فودَى لهم الدماء، وما أصيب من الأموال حتى إنه لَيدِي مِيلغَةَ الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقي لكم دمٌ أو مالٌ لم يود إليكم ؟ قالوا : لا، قال : فإني أعطيكم هذا المال الباقي احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ووافقوا شاكرين، ثم رجع الىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فقال : أصبت وأحسنت، ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليُرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات[٩].

إنَّ تثبيت الدولة يكون بإرخاء رواسي العدل والمساواة بين الناس، والإسلام جاء ليمحو أوضاع الجاهلية وما عليها من شنآن ويمشي في الناس بالحق والعدل ولا تزر وازرة وزر أخرى. وما قام به خالد لا علاقة له بالإسلام، بل هو الراسب الجاهلي المتحكم في عقل هذا الرجل الذي أسلم متأخراً ولا تزال رواسب الجاهلية في كيانه، فهو لم يستطع أن يترفع عنها مع أن النبي قال في خطبته البليغة أمام أهالي مكة : كل دم في الجاهلية فهو تحت قدميَّ هاتين. وكأن خالد لم يسمع أو لم يعِ ما قاله المصلح الكبير، ولهذا تبرأ منه النبي ﷺ ومن أفعاله، وتأثر لهذه الحادثة النكراء، وبعث علياً الذي هو نفسه ليمثله في رأب الصدع واستنكار الجريمة ودفع

الديات وتعويض الخسائر المادية، حتى ميلغة الكلب ـ أي الجرن الذي يشرب منه الكلب، وهو وعاء من حجر أو خشب لا قيمة له ـ حتى يثبت الحق ويرسي دعائم العدل، ومن أولى من علي الأعلم الأقضى بفك الخصومات، وحلّ المشاكل وإرضاء الناس، وإعادة الأمور إلى نصابها؟ علي الحكيم في القضاء، والحكيم في المواقف ومداراة عواطف الناس حتى رجع والقوم مطمئنون كأنه لم يصبهم شيء، فبورك علي وبورك هذا اللطف الرسالي الذي يحمله بين حناياه، عالماً وقاضياً ومدافعاً عن الإسلام الحقّ.

وقفة عتاب خفيفة مع محمد حسين هيكل:

بلغ كتاب هيكل مجده، حيث وزع على أكثر الدول العالمية المهتمة بالتراث، خصوصاً أن هيكل كتب كتابه وفق الأنظمة الحديثة للكتابة، حتى يجعله مرجعاً سهلاً للباحثين الغربيين والشرقيين على السواء، ولكل من أراد أن يدرس حياة محمد ﷺ. والحق أن الكتاب اختصر التاريخ وأجاد كاتبه في كثير من المناسبات، بل حلق في بعض المواقف. والكتاب موفق كماً ونوعاً ومنهجاً واسلوباً.

غير أننا ونحن نعتز بأحد أهم كتاب العصر الحديث، نأسف لكاتب من هذا النوع ـ وهو يسبر أغوار التاريخ ويشهد الحقائق بكل نصاعتها ـ أن يبقى في ذهنه شيء من رواسب الماضي العفن حيث الحزبية والطائفية المقيتة ونربأ به أن يكون في ذهنه شيء على عليّ إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، خصوصاً أن له موقفاً مميزاً في كتابة الطبعة الأولى من كتابه المطبوع في مصر عندما يتحدث عن يوم الدار، ويثبت فيه الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام ويثور عليه المتعصبون أتباع بني أمية، ويقولون له: هذا عين ما تقوله الشيعة، فيقول لهم: هذا عين ما يقوله التاريخ، ثم يمحو ويحذف هذا الكلام من الكتاب عندما يتفق معه على شراء خمسمائة نسخة في الطبعة الثانية، فيهدم بهذا هيكل كل ما بناه من تحقيق علمي نزيه وبحث موضوعي مجرد.

وهنا في هذا الموضوع عندما يتعرض لموضوع فتح مكة المكرمة يجرد علياً

عن أي مكرمة بحذف مقصودٍ واهمال مقصود، وإذا اضطرته حقائق التاريخ التي يكتبها الطبري وابن الأثير واليعقوبي وابن هشام وغيرهم ممن تعرضوا لأكثر تفاصيل الفتوحات المباركة، يختصرها اختصاراً يكاد معه يمحو ذكر الحادثة. فهو مثلاً في مسألة الراية لا يذكر العباس ولا يذكر علياً عليه السلام، وفي مسألة أم هاني لا يذكر علياً وفي مسألة هدور دم الأعداء الألداء في العداوة الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً بقتلهم لا يذكر علياً، وفي مسألة تكسير الأصنام يتجاهل علياً تماماً، وهكذا يبدو هيكل وكأنه في حرب مع علي عليه السلام غير معلنة بل معلنة...[١٠]

● **بقلم السيّد زهير الأعرجي:**

كانت مكة معلماً شاخصاً في حياة الامام أمير المؤمنين عليه السلام. ففيها ولد، وفيها ترعرع صبياً بجنب رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها آمن برسالة السماء يوم كان الشرك يخيم عليها. لقد كانت مكة بالنسبة للامام عليه السلام مدينة تحمل كل معاني الصراع بين الحق والباطل. فقد بقي عليه السلام أياماً بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله منها يرد الامانات، وكان له دور رئيسي تحت امرة رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح مكة، وكان عليه السلام المؤهل الوحيد الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله لتبليغ سورة براءة في حج السنة التاسعة للهجرة.

وبكلمة، فإن لمكة المكرمة في حياة امير المؤمنين عليه السلام وضعاً خاصاً في النشاط الديني الاجتماعي، نعرض له في الصفحات التالية، بإذنه تعالىٰ.

علي عليه السلام وفتح مكّة

فُتحت مكة المكرمة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة. وخبرُها أنه كان من شروط صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش أنه من أحب أن يدخل في عَقْد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده.

ولكن بنو بكر وقريش تظاهرت علىٰ خُزاعة واصابوا منهم مقتلاً ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ. فقدم عمرو بن سالم الخزاعي الى المدينة ووقف علىٰ رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد بين الناس، فقال يستثيره علىٰ قتال اهل مكة من المشركين:

يـــاربّ إنـــي نـــاشدٌ مـــحمداً ... حِـــلْفَ أبـــينا وأبـــيه الأتـــلدا[11]
قـــد كـــنتمُ وُلداً وكـــنا والدا ... ثـمّتَ أسـلمنا فـلم نـنزِع يـدا[12]
فـــانصُر هـــداك الله نـــصراً أعـتدا ... وادعُ عـــبادَ الله يأتـــوا مـــددا[13]
فـــيهم رســـولُ الله قـــد تـــجرّدا ... إن سِـيم خَسْـفا وجـهه تـربَّدا[14]
فـي فـيلق كـالبحر يـجري مُـزبِدا ... إنّ قـــريشاً أخـلفوك المـوْعِدا[15]
ونـــقضوا مـــيثاقك المـــؤكدا ... وجعلوا لي فـي كـداء رُصّـدا[16]
وزعـــموا أنْ لستُ ادعـــو أحـداً ... وهـــــم أذلّ وأقـــلّ عـــــددا
هـــم بـــيتونا بـــالوتير هُـــجَّدا ... وقـــتّلونا رُكـــعًّا وسُـــجّدا[17]

وأحست قريش بعظمة الجريمة التي ارتكبتها ضد المسلمين. وتسارعت الاحداث، فقدم ابو سفيان المدينة واراد أن يكلّم رسول الله ﷺ لتصحيح ما ارتكب من خطأ فادح بنقضه العهد مع المسلمين ولكنه لم يفلح، فلم يردّ ﷺ عليه شيئاً. فعندها «دخل علىٰ علي بن ابي طالب رضوانُ الله عليه، وعنده فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ، وعندها حسنُ بن علي غلام يدبّ بين يديها. فقال: ياعليّ، إنك أمسّ القوم بي رحماً[18]، واني قد جئتُ في حاجة فلا ارجعنّ كما جئتُ خائباً، فاشفع لي الىٰ رسول الله. فقال: ويحك يا ابا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ علىٰ أمر ما نستطيع ان نكلمه فيه. فالتفتَ الىٰ فاطمة فقال: يابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيُجيرَ بين الناس، فيكون سيدَ العرب الىٰ آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنيَّ ذاك أن يُجير بين الناس، وما يُجير أحدٌ علىٰ رسول الله ﷺ.

قال : ياأبا الحسن ، إني أرىٰ الامور قد اشتدت عليّ ، فانصحني .

قال عليه السلام : والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك .

قال : أو ترىٰ ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟

قال عليه السلام : لا والله ، ما أظنه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك .

فقام ابو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق . فلما قدم علىٰ قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلمته فوالله ما ردَّ عليّ شيئاً ...ثم جئتُ علياً فوجدته ألين القوم ، وقد اشار عليّ بشيء صنعتُه ، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا ؟ ...»[١٩] .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالجهاز ، فتجهز عشرة آلاف من المسلمين ، ولم يتخلف عنه أحد . وخرجوا جميعاً نحو مكة . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله «مرَّ الظهران» قدم ابو سفيان يستظهر الخبر ، فأخذه العباس بن عبد المطلب الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله . فلما رآه صلى الله عليه وآله ، قال : ويحك ياأبا سفيان ، ألم يأنِ لك ان تعلم انه لا إله الا الله ؟ قال : بأبي انت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت ان لو كان مع الله إلهٌ غيره لقد اغنىٰ عني شيئاً بعد . قال : ويحك ياابا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بابي أنت وامي ، ما احلمك واكرمك واوصلك ! أما هذه فإن في النفس منها حتىٰ الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله الا الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فاسلم !

قال العباس : قلت يارسول الله ، إن ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : «**نعم. من دخل دار ابي سفيان فهو آمن، ومن اغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**»[٢٠] .

وعندما رأىٰ ابو سفيان جنود الله تمر من امامه في مضيق الوادي التفت الىٰ

العباس وقال: «والله يا اباالفضل، لقد اصبح مُلكُ ابن اخيك الغداة عظيماً، قال العباس: ياابا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم اذن»[٢١].

وحينما دخلوا قال سعد بن عبادة: اليومُ يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحُرمة! وهو رأي لم يُستشر فيه رسول اللهﷺ، ويدلّ علىٰ الآثار المترسبة ما قبل الاسلام علىٰ اولئك المسلمين. فتدارك النبيﷺ الموقف الذي يمكن ان يتطور الىٰ سفك دماء، وقالﷺ لعلي بن ابي طالب عليه السلام: أدركه، فخذ الراية منه، فكن انت الذي تدخل بها[٢٢]. وهكذا كان، فدخل رسول اللهﷺ وبيد علي عليه السلام الراية ثم جيش النبيﷺ من ورائهما.

وكان رسول اللهﷺ قد عَهِدَ الىٰ امرائه من المسلمين، حين امرهم ان يدخلوا مكة، ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم. لكنه امرهم بالخصوص بقتل اربعة نفر هم: عبد الله بن سعد بن ابي سرح، والحويرث بن نفيل، وابن خطل، ومقبس بن ضبابة. وأمرهم ايضاً بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول اللهﷺ. وقالﷺ: **اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة**. فقتل علي عليه السلام الحويرث بن نفيل واحدى القينتين وأفلتت الاخرىٰ. وقتل مقبس بن ضبابة في السوق. وادرك ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة، فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً فقتله.

اما عبد الله بن سعد الذي كان قد ارتد مشركاً بعد ان كتب بعضاً من الوحي وحرّفه، فظُفر به ولكن عثمان بن عفان غيّبه وطلب له الامان من رسول اللهﷺ في قصة ذكرت في سيرة ابن هشام. ثم ولاه عمر بن الخطاب بعض اعماله في خلافته، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر[٢٣]!!

ولما دخل رسول اللهﷺ مكة، دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم. فاتىٰﷺ الحرم وقام علىٰ باب الكعبة فقال: «**لا اله الا الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، الا كل مأثُرة او**

دم او مال يُدَّعىٰ فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة البيت[٢٤] **وسقاية الحاج... يامعشر قريش، إنّ الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظُّمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يايها الناسُ إنا خلقناكم من ذكرٍ وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** الآية كلها. ثم قال: **يامعشر قريش، ماتروَن اني فاعل فيكم؟** قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن اخ كريم. قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٢٥].

وكان الله سبحانه قد امكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيئاً، فلذلك سُمي اهل مكة الطلقاء.

و«لما فتح الله مكة علىٰ رسول الله ﷺ امر النبي ﷺ علياً (كرم الله وجهه) ان يصعد علىٰ منكبه ليقذف الصنم التي كانت اعظم الاصنام عن المسجد الحرام»[٢٦]. وتفصيل ذلك علىٰ لسان علي بن ابي طالب عليه السلام كما يرويها احمد بن حنبل، قال عليه السلام: «**انطلقت أنا والنبي ﷺ حتىٰ أتينا الكعبة فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس وصعد علىٰ منكبي فذهبت لانهض به فرأىٰ مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: اصعد علىٰ منكبي، فصعدتُ علىٰ منكبيه، فنهض بي. قال: فانه يخيل اليّ اني لو شئت لنلتُ افق السماء حتىٰ صعدت علىٰ البيت وعليه تمثال صِفر او نحاس، فجعلت ازاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتىٰ اذا استمكنتُ منه قال لي رسول الله ﷺ: اقذف به، فقذفتُ به فتكسر كما تنكسر القوارير**»[٢٧]. وفي رواية اخرىٰ أن علياً عليه السلام لما عالجه كان رسول الله ﷺ يقول له: **ايه ايه ﴿...جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾**[٢٨]»[٢٩].

تصرفات خالد بن الوليد: آثار ما قبل الاسلام

وعندما فتحت مكة، بعث رسول الله ﷺ السرايا فيما حول مكة تدعو الىٰ الله عزّوجلّ، ولم يأمرهم بقتال. وكان ممن بَعثَ خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفلِ تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سُليم بن منصور، ومُدلج بن

مُرَّة. فوطئوا بني جذيمة بن عامر. فلما رآه القوم اخذوا السلاح. فقال خالد: ضعوا السلاح، فان الناس قد اسلموا.

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك. فكُتِفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم. فلما انتهى الخبر الىٰ رسول الله ﷺ رفع يديه الى السماء، ثم قال: اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد(٣٠).

فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب (رضوان الله عليه)، فقال: **يا علي، اخرج الىٰ هؤلاء القوم، فانظر في امرهم، واجعل امر الجاهلية تحت قدميك.** فخرج علي عليه السلام حتىٰ جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فوَدَىٰ لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الاموال، حتىٰ انه لَيدي لهم ميلَغة الكلب(٣١).

حتىٰ اذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي (رضوان الله عليه) حين فَرَغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم او مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني اعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع الىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال ﷺ: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتىٰ انه ليرىٰ ما تحت مَنكِبيه، يقول: «**اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات**»(٣٢).

الدلالات العلمية للنصوص

هناك دلالات علمية يمكن استنباطها من النصوص التي اوردناها في فتح مكة. ومن تلك الدلالات: تنبأ الدين ببقاء الحق وزوال الباطل، والطراز الرفيع لفتح مكة بين الفتوحات، وبطولة الامام عليه السلام التي كان من اهم آثارها: فتح مكة وانكسار دولة الشرك الى الابد.

١ ـ الحق والباطل: من زاوية فلسفية

عندما تكسرت اصنام قريش في فتح مكة علىٰ يدي رسول الله ﷺ وعلي بن

ابي طالب عليه السلام، قال صلى الله عليه وآله: ايه ايه **﴿جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾**[٣٣]. فما هو الباطل الذي حُكم عليه بالموت والزوال؟ وما هو الحق الذي أُقرّ له بالحياة؟

يعبّر الحق عن صفات الكمال المطلق، وكل شيء يتصل بالله سبحانه هو حق: **﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾**[٣٤]، **﴿فتعالىٰ اللهُ هو الملك الحق﴾**[٣٥]، **﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا﴾**[٣٦]، **﴿ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتىٰ﴾**[٣٧]. بينما لا يمثّل الباطل الا الشيطان وكل ما يدعو اليه هو شر وفساد، كما اشار تعالىٰ: **﴿فماذا بعد الحق الا الضلال فأنىٰ تصرفون﴾**[٣٨]، **﴿ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾**[٣٩].

أ ـ الباطل:

هناك تساؤل وجيه يمكن ان يُطرح في هذا المقام وهو: هل الباطل قضية متعلقة بالاخلاق ام انه قضية متعلقة بالدين؟ وهل يمكن طرد الباطل من العقل، ثم من الحياة الاجتماعية، من دون مساعدة الدين؟

طبيعياً، يعدُّ الباطل حقيقة مستقلة بذاتها بسبب قابلية النفس الانسانية علىٰ الاقتراب منه او الابتعاد عنه. واهم مصاديق الباطل: الفجور والكفر. فقد خلق الله سبحانه النفس الانسانية والهمها الفجور والتقوىٰ فقال: **﴿ونفس وما سواها. فالهمها فجورها وتقواها...﴾**[٤٠].

فالنفس الانسانية كيان يمتلك القدرة والعلم والحكمة، وقد سواها سبحانه وتعالىٰ ورتب خلقها ونظّم قواها واعضاءها. والقىٰ في روعها وافاض عليها صوراً علمية من التصور والتصديق، وعرّفها صفات الافعال من التقوىٰ والفجور. فالعنوان المشترك بين التقوىٰ والفجور هو متن الفعل. مثال ذلك: اكل المال وهو مشترك بين اكل مال اليتيم وهو فجور، واكل المال الحلال وهو من التقوىٰ. ومثال آخر: المباشرة وهو عمل مشترك بين الزنا وهو فجور، والزواج الشرعي وهو من

التقوىٰ. ومثال ثالث: العبادة وهو عمل مشترك بين عبادة الصنم وهو فجور، وعبادة الله سبحانه وهو تقوىٰ.

والمحصَّل من الآيات الشريفة هو ان الله عز وجل عرّف الانسان بخصائص الافعال من فجور او تقوىٰ، وميّز له الافعال المتصلة بالتقوىٰ والاخرى المتصلة بالفجور.

ومن تلك الآيات الشريفة نستلهم أن هناك تناقضاً منطقياً بين الحق والباطل. فلابد ان يهزم احدهما الآخر ويدحره، ولا يمكن ان يجتمعا في مكان واحد في نفس الوقت. بل لابد من استقلالية تحمي احدهما عن الآخر. فاما هذا واما ذاك. اي اما الفساد والظلم والشيطان: وهو الباطل. واما الخير والصلاح والعدالة: وهو الحق.

ولم يقف القرآن الكريم موقفاً حيادياً من الباطل بل ادانه في مواطن عديدة، فخاطب اهل الكتاب: ﴿**ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون**﴾[٤١]، وخاطب عبدة الاوثان: ﴿**أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**﴾[٤٢]، ونقل عن المنكرين: ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق**﴾[٤٣]. ونقل عن الكافرين ومجادلتهم بالباطل لدحض الحق: ﴿**وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب**﴾[٤٤]، وخاطب المسلمين بضرورة مراعاة شرعية التعامل التجاري عبر قوله: ﴿**ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارةً عن تراضٍ منكم**﴾[٤٥]، وادان الكافرين اجمالاً بقوله: ﴿**والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون**﴾[٤٦].

ومن ذلك نفهم ان طبيعة الاشياء في الكون تتناغم مع الخير والصلاح والعدالة والتوحيد، ومع كل ما يمثله الحق من مفاهيم وافكار. وعندما يقوم الانسان بفعل الباطل من فساد وظلم وعبادة للشيطان والوثن، فانه انما ينتهك

طبيعة الاشياء التي خلقها الله سبحانه. فهنا لابد من دحر الباطل الذي ينتهك النظام الكوني المبني علىٰ اساس العدالة والخير والتوحيد. كما قال تعالىٰ: ﴿**ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض...**﴾[٤٧].

ومجيء الاسلام كان انذاراً للباطل بالتوقف عن الوجود في ذات المؤمن علىٰ الاقل. فالمؤمن بتعاليم الدين السماوي يؤمن بالحق ويبني وجوده الاجتماعي والذاتي الجديد علىٰ اساس ايقاف الباطل وحذفه من حياته. وهذا يعني اننا اذا الغينا الباطل من الساحة الاجتماعية، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام بتحطيم الاصنام، فان ذوات الناس سوف تنفتح علىٰ الخير والاستماع الىٰ الحق. وهنا يتخير الانسان بحرية، في ذلك الجو المنفتح وتلك الارضية الواسعة، بين الحق والباطل.

ولو كان الباطلُ قضيةً متعلقةً بالاخلاق لاستطاع الانسان دحرها من دون مساعدة الدين، بل لكان العقل سلاحاً كافياً من اسلحة دحر الباطل. ولكن الحقيقة تقول بان للباطل كياناً مستقلاً لا يقف امامه الا الدين. فمع ان العقل يدعو الى التوحيد والعدل، الا ان العقل المجرد عن الايمان قد يدعو الى الفساد والدمار والشرك. فالعقل لوحده لا يستطيع دحر الباطل. ولو كان العقل كافياً لادراك معاني الوجود لانتفىٰ دور الدين في الحياة الانسانية. فقضية الباطل اذن ليست متعلقة بالفلسفة الاخلاقية فقط، بل ان ازالة الباطل موكولة الىٰ تعاليم الدين ومقدار ادائها من قبل المؤمنين.

فلاشك ان زوال الباطل يتحقق عندما يمارس المكلّفون تكاليفهم الشرعية ويتنعمون برحمة القوانين الدينية، وعندها ينتفي الفساد والظلم والشرك. فتثبيت الحق مرهون بتقوية شوكة الدين. ومن هنا نفهم مغزىٰ مخاطبته صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ايه ايه ﴿**...جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً**﴾[٤٨]. فبتحطيم رمز الوثنية والشرك في مكة، بدأ الاذعان لتقبل فكرة انتصار الاسلام وانتشار قيمه السماوية

في الخير والعدالة والمحبة والصلاح علىٰ مبادئ الظلم والفساد والشرك. ومن هنا جاء الحق وزهق الباطل بكل ما تحمله تلك الالفاظ من معانٍ ومفاهيم وافكار. فقد جاء الحق عبر رسالة السماء محمّلاً بمفاهيم العدالة والخير والاخوة والمحبة والتعاون، وعندها انفتح الباب للانسان لاختيار طريق الخير بدل طريق الشر، وعندها كانت الحكمة الالٰهية: ﴿**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...**﴾[٤٩] لان الانسان بطبيعته يختار الخير على الشر، ويختار الحق على الباطل.

ذلك ان الباطل يؤدي دائماً الى الالم والمعاناة علىٰ صعيد الانسانية، ولا يؤدي الشر الا الى الحرب، والظلم، والاجحاف بحقوق الآخرين. ولذلك فان الدين يحارب الباطل أينما وُجد؛ لان الدين لا ينمو ولا يستقر بوجود الباطل. فالدين يدعو الى الصفاء، والامانة، والمحبة، والولاء. بينما يدعو الباطل الى الخيانة، والبغض، والدماء، والاضطراب.

وبكلمة فان الشر يحطم الروح الانسانية، ويعكر الصفاء الذهني والنفسي الذي يجلبه الدين، ويدمر الفرص العقلائية لانتخاب الدين كبديل في الحياة تمشياً مع قوله تعالىٰ: ﴿**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...**﴾[٥٠]. اما الخير ـ وهو احد مصاديق الحق ـ فانه يجلب على الانسان سعادة ابدية، لان الخير يربط الانسان بالله سبحانه، ويربط الافراد بعضهم ببعض عن طريق القيم العليا في الحب والتعاون والتآخي. وجوهر الفكرة ان العقل لاينهض الىٰ مستوىٰ طرد الباطل. فلابد من تدخل الدين في طرد الباطل من النفس اولاً ثم سحق الباطل على المستوى الاجتماعي واحقاق الحق عن طريق الادارة الدينية للمجتمع.

ب ـ الحق:

ان الحق في ذاته امرٌ حسنٌ له قيمة اخلاقية عليا في حياة الانسان. فالحق يشمل الخير في كل جوانبه، ولذلك وصف الله سبحانه نفسه بانه الحق المبين كما

قال: ﴿**ويعلمون ان الله هو الحق المبين**﴾[٥١].

ولكن يمكن تصنيف الحق الىٰ صنفين: الحق على الصعيد الذاتي، والحق على الصعيد الموضوعي.

فعلى الصعيد الذاتي: فقد وصف الله عز وجل نفسه بالحق، لان الحق يمثل كل جوانب الخير، فهو تعالىٰ الحق الذي يحقق كل شيء حق، ويجري في الاشياء النظام الحق. فالمولىٰ عز وجل هو الذي يمسك باسباب الخير والعدالة والقوة والعزة والقدرة. وهو الذي خلق الخلق والحياة وصمم الكون والاشياء لتكون خيراً بذاتها. وقد ورد في القرآن الكريم مايدلل علىٰ ذلك. فهو علّة جميع العلل من الايجاد والتدبير والمُلك والإماتة والبعث، كما في قوله: ﴿**ثم ردوا الى اللهِ مولاهم الحق الا له الحكم**﴾[٥٢]، ﴿**فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانىٰ تصرفون**﴾[٥٣]. والامر كله بيده فهو الخالق لكل شيء المدبر لكل امر، وليس لغيره الا الاوهام من اجل الابتلاء والامتحان، فقال: ﴿**هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً**﴾[٥٤]، ﴿**فتعالىٰ الله الملك الحق...**﴾[٥٥]، ﴿**ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتىٰ**﴾[٥٦]، ﴿**ويعلمون ان الله هو الحق المبين**﴾[٥٧]. وتلك بديهيات لا ستار عليها بوجه من الوجوه. فالحق من اسماء الله الحسنىٰ لثبوته تعالىٰ بذاته وصفاته ثبوتاً لا يقبل الزوال ويمتنع عن التغيير.

وعلى الصعيد الموضوعي: فان الحق ـ بقيمه الاخلاقية ـ قد تمثل بالاسلام. فالاسلام ليس فرداً ولا شخصاً ولا مفردة، بل هو موضوعٌ للخير العام. فهذا الدين يمثل حالة معنوية لنشر العدالة بين الناس، ويعكس صورة لنظام في ادارة صلة الانسان بربه، وصورة لنظام الادارة الاجتماعية والحقوقية. ولذلك عُبّر عن الدين بانه الحق، كما يُستخلص من التأمل في قوله تعالىٰ: ﴿**فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم**﴾[٥٨]، ﴿**انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً**﴾[٥٩]، ﴿**فهدىٰ الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه**﴾[٦٠]، ﴿**ولا تتبع اهواءهم**

عما جاءك من الحق﴾[٦١]، **﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾**[٦٢]. وفي الآيات الكريمة دلالة ظاهرة علىٰ ان الدين الذي نزل علىٰ محمدﷺ هو حق فيما وافق ما بين يديه من الكتب، وحقٌ فيما خالفه لكون القرآن مهيمناً علىٰ جميع الكتب السماوية السابقة.

وبذلك يكون الحق الذي بشرّ بمجيئه رسول اللهﷺ عندما كان علي عليه السلام يكسر الاصنام يمثل كل معاني الخير والعدالة والتوحيد والعبودية لله الواحد القهار. وان كان ذلك الحقُ يغطي مساحة قانونية او معنوية او انسانية او طبيعية، فانه انما يدلّ علىٰ شمولية الدين لكل تلك الحقوق. فالدين يحفظ حق الانسان في التعبد، وحق الانسان في العيش بكرامة تحت اجواء الخير. وبكلمة، فان الحق هو بشرىٰ السماء للبشرية المعذّبة التي تبحث عن طريق للهداية والنجاة من العذاب.

٢ ـ فتح مكة: طراز الفتوحات الكبرىٰ

لو اردنا ادراك اهمية «فتح مكة» باطار الفهم المعاصر الحديث، لافترضنا اننا يجب ان نفهم آثارها او مقتضياتها بنفس درجة فهم اسبابها او عللها. فمع ان شجاعة رسول اللهﷺ وامير المؤمنين عليه السلام الفائقة كانا من اهم عللها، فان آثارها كانت خطيرة للغاية. ذلك أن فتح مكة وضعَ القيادة الدينية الاجتماعية للعالم بيد المسلمين بعد ان كان المشركون يعيثون في الارض فساداً. فدخل الناس، مؤمنين باطناً او ظاهراً، في دين الله افواجاً. وقد تنبأ كتاب الله المجيد بتلك الاحداث بالقول: **﴿اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾**[٦٣].

وتلك سورة مدنية نزلت بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة. حيث كانت السورة إخباراً بتحقق أمر لم يتحقق بعد. وهو الوعد الجميل بالنصر والفتح. وتلك السورة تنطبق علىٰ فتح مكة الذي هو أُمّ فتوحاتهﷺ في حياته، حيث تكلل ذلك النصر بهدم بنيان الشرك في جزيرة العرب. ولذلك طلب الله عز وجل من

رسوله ﷺ أن يسبحه وينزهه بقوله: ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً**﴾ الآية. حيث تم اذلال الشرك وتعزيز التوحيد وابطال الباطل وأحقاق الحق.

واصبح الاسلام بعد فتح مكة قوة عالمية تستطيع مواجهة قوى الفرس او الروم والانتصار عليها، وتثبيت الامن العالمي في ذاك الوقت تحت شعار: لا اله الا الله، محمد رسول الله. وهذا كله يمثّل مصداقاً من مصاديق المقولة القرآنية: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

ولاشك أن فتح مكة لم يكن مجرد عملية انهيار قوة عالمية وهي قوة المشركين، وانتصار قوة اعظم في المبدأ والعقيدة وهي قوة المسلمين. بل كانت عملية بدء عصر جديد يستمر فيه الاسلام حياً نابضاً فعّالاً الىٰ يوم القيامة؛ لان الاسلام بطبيعته دين عالمي وليس ديناً محلياً يهتمّ بعرق معين او طائفة معينة. ويؤيده قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وما ارسلناك الا كافّة للناس بشيراً ونذيراً**﴾[٦٤].

وقد كان للبطولة الخارقة دور حاسم في فتح مكة وتحطيم الاصنام فوق الكعبة وحولها، كما بحثنا ذلك سابقا. وبتحطيم الاصنام أزف الوقت لإعلان عدم شرعية الشرك في معقل المشركين بمكة بقوة السلاح والايمان، واعلان انتقال السلطة العالمية من يد الشرك الىٰ يد الايمان، وانتهاء التحدي الفكري للشرك القرشي ضد الاسلام.

ومن منطلق تلك الاحداث لابد من ادراك مقدار المكاسب التي حققتها بطولة اهل بيت النبوة عليهم السلام في المعارك الاسلامية الكبرىٰ. فقد دمر ذلك التفاني العجيب من اجل الدين، كل احلام الوثنية في البقاء. فلم تكن تلك المعارك صراعاً شخصياً بين بني هاشم وبني امية. ولم تكن مواجهة شخصية بين رسول الله ﷺ وابو سفيان، او بين حمزة وابو جهل، او بين علي عليه السلام ومعاوية.

بل كان الصراع بين الخير والشر او الحق والباطل صراعاً تأريخياً بين معسكرين ذي مبدأين متصارعين الىٰ ابد الدهر. ولم يكن تسامح رسول الله ﷺ مع

اهل مكة الطلقاء ليغير من موقف النخبة الجاهلية. فحتىٰ مع اظهار اسلامه، لا يزال ابو سفيان في قلبه شيء من رسالة محمدﷺ، ولا يزال يؤمن بانه المُلْك الذي حازه محمدﷺ واصبح عظيماً به، لا النبوة الخاتمة. ولا يزال خالد بن الوليد يتصرف علىٰ ضوء عنجهيته الجاهلية فيقتل من لا يجوز قتله، وعندها يتبرأ رسول اللهﷺ من افعاله.

ان العداء التأريخي الذي كانت تكنّه قريش للاسلام ولرسول اللهﷺ ولعلي عليه السلام لم يكن ليزول باعلان الشهادتين على اللسان دون القلب. ذلك ان فتح مكة كان اظهار قدرة الله سبحانه علىٰ اعزاز الاسلام وتكريمه وتجليل خاتم الانبياءﷺ. وقد نصر الله الاسلام علىٰ رغم انوف صناديد قريش من الذين تشربت في قلوبهم عبادة الاوثان والاصنام.

ولذلك كانت النبوة امراً لا تستطيع قريش هضمه او استيعابه. فما هي تلك القوة الهائلة التي تستطيع ان تحرك القلوب نحو الله ضد الشيطان والشرك والرجس؟ وما هو سر ذلك التسامي العظيم لرسالة محمدﷺ بين الامم؟ وما هو سر شجاعة علي عليه السلام الفائقة وتفانيه في حماية الرسالة السماوية؟ وما هو السر في استبسال تلك النخبة المؤمنة التي كانت تحيط برسول اللهﷺ وتصحبه؟ لاشك ان تلك النخبة كانت اشد تماسكاً في اتباع قائدهاﷺ من غيرها من نخب الملل والمذاهب، فهذا علي عليه السلام يصعد علىٰ كتف رسول اللهﷺ ليحطم الاصنام، في وقت كان شعارهما: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً. وكان حمزة (رض) متفانياً في الدفاع عن الاسلام ونبيهﷺ، وكان ابو طالب ومواقفه الاجتماعية العظيمة تفصح عن عمق ايمانه برسالة محمدﷺ، وكان تفاني جعفر بن ابي طالب مشهوداً من اجل الاسلام ورسالته السماوية للبشرية.

وبذلك فقد كان الشعور الوجداني بين النخبة المؤمنة هو ان يزدهر الخير بين البشر وتتحقق كلمة التوحيد وعبادة الله سبحانه. وبذلك كان فتح مكة اعادة لبناء

التركيب السياسي والاجتماعي للعالم علىٰ ضوء الدين الجديد. في وقت كان العالم يبحث فيه عن قيادة جديدة تحقق العدل الاجتماعي والامان والتوحيد، فكانت قيادة رسول الله ﷺ تحقق ثبات دولة الايمان العالمية ونظامها الامني والحقوقي.

والسبب في ذلك ان العالم يتضمن شعوباً متباينة في التقاليد والعادات واللغات، ولايمكن ان يجمعها الا دين سماوي واحد. فكان الاسلام هو الدين القادر علىٰ جمع ذلك العدد الهائل من البشر تحت سقف خيمة واحدة في ظل لواء واحد. ولا يستطيع احد تحمل مسؤولية ادارة ذلك التجمع العالمي اجتماعياً وسياسياً الا رسولٌ يوحىٰ اليه. فكان رسول الله ﷺ هو حامل المسؤولية العالمية. وكان من خلفه المؤهل الاول لتسلم القيادة الدينية بعده ﷺ امير المؤمنين عليه السلام.

فقد كان عليه السلام موضع ثقة رسول الله ﷺ في فتح مكة. فعندما قال الناس: اليومُ يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحرمة. دعاه النبي ﷺ لتدارك الوضع الخطير الذي كان سيؤدي حتماً الىٰ سفك الدماء. فكان علي عليه السلام منقذ الموقف. وعندما قام خالد بن الوليد بقتل من قتل من بني جذيمة، وداهم رسول الله ﷺ فبعث علياً عليه السلام لتسوية الوضع. وقبلها كان علي عليه السلام ثقة ابو سفيان رأس الشرك الذي حارب الاسلام والنبي ﷺ وعلياً عليه السلام اشد حرب. فكان علي عليه السلام، اذا صحت الرواية، ألينهم معه. وهكذا كان خلق الانبياء والاوصياء عليهم السلام. وهكذا تعامل رسول الله ﷺ في مكة مع الطلقاء.

ويمكننا الآن ان نقول باطمئنان بان فتح مكة كان من طراز الفتوحات الكبرىٰ للاسباب التالية:

١ ـ رجع رسول الله ﷺ منتصراً الى البلدة التي حاربته واضطهدته وتآمرت علىٰ قتله واخرجته بالإكراه. فبعد ثمان سنوات فقط من الهجرة الكبرىٰ من مكة الى المدينة، رجع المصطفىٰ ﷺ الىٰ بلدته مكللاً بالانتصار.

٢ ـ دخل خاتم الانبياء ﷺ الكعبة وبجنبه علي عليه السلام وحطما الاصنام التي كانت تعتبر رمز الشرك في عالم ذلك الزمان، وفي كل زمان. وارجع ﷺ للكعبة الشريفة

حرمتها النبوية التي وضعها النبي ابراهيم عليه السلام ولوثتها جاهلية الاوثان والاصنام.

٣ ـ كان رداء المصطفى صلى الله عليه وآله التسامح مع ألد اعدائه: مشركي قريش. فاعطاهم الامان، وقال لهم: اذهبوا فانتم الطلقاء. وكان هؤلاء قد ارتكبوا اعظم الفظائع ضد الموحدين المسلمين.

٤ ـ كان بفتح مكة سقوط الجزيرة العربية تحت سلطان الاسلام. وتهيؤ رسول الله صلى الله عليه وآله لمحاربة القوى الاخرىٰ في العالم.

٣ ـ فتح مكة: استراتيجية جاء الحق وزهق الباطل

ان الآية الشريفة: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل. ان الباطل كان زهوقاً**﴾[٦٥] حبلىٰ بالمعاني العديدة التي يمكن ان يستظهرها ذهن العالِم باحكام الدين وتشريعاته. ومن تلك المعاني نظرية «حتمية ازهاق الشرك والظلم وحتمية انتصار الدين» على المدى البعيد. فتلك النظرية تعرض علينا امكانية صياغة استراتيجية الاسلام بالنسبة للدنيا والتأريخ. فالدين هو الحق، والكفر هو الباطل. ولابد ان ينتصر الدين ويندحر الباطل ويموت. لان الحق باقٍ الى الابد، والباطل ميتٌ الى الابد بظهور الاسلام وانتشاره في آفاق الارض. وفي الآية دلالة علىٰ ان الباطل لا دوام له ومصيره الهلاك كما قال تعالىٰ في مكان آخر عن الباطل حيث مثّله بالشجرة الخبيثة: ﴿**...مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار**﴾[٦٦].

وفي هذه المناسبة لابد من استخدام بعض المصطلحات الحديثة التي دخلت قاموس اللغة الاجتماعية والسياسية وهما اصطلاحا: البعيد المدىٰ «الاستراتيجية»، والقصير المدىٰ «التكتيك». وهما مصطلحان اعجميان دخلا اللغة العربية. فالمعروف في الاوساط العلمية: ان التكتيك هو حركة ميكانيكية لاجسام وضعت في مسار بواسطة الخطة الاستراتيجية. وبتعبير اوضح ان الاعمال التي تتطلب زمناً طويلاً في الانجاز تحتاج الىٰ خطة وتصميم مسبق، وتحتاج ايضاً

الىٰ من يقوم بالحركة الآن هو ما يسمىٰ بالمدى القصير او التكتيك. فحركة السيارة او العربة هو تكتيك لخطة يضعها السائق من اجل الوصول الى المدينة المقصودة «الاستراتيجية».

واذا كانت الحرب تكتيكاً قصير المدىٰ، فان التخطيط لها واستثمار نتائجها في النصر هو استراتيجية بعيدة المدىٰ. وقد كان فتح مكة من هذا القبيل. فقد كان الفتح جزءًا من خطة مستقبلية بعيدة المدىٰ لنشر الاسلام خارج حدود الجزيرة العربية ليصل العالم الواسع كله.

وبصورة اخرىٰ، فان النهوض باعباء الرسالة السماوية من اجل نشرها في العالم الىٰ يوم القيامة لا يمكن ان يتم ما لم يجتاز المسلمون مرحلة الانتصار النهائي على الشرك في الحروب التكتيكية التي كان يخوضها علي عليه السلام جنباً الىٰ جنب مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم ينتقلون الىٰ مرحلة الاستراتيجية البعيدة المدىٰ. فهنا انتقل المسلمون من مرحلة الدائرة المحلية الىٰ مرحلة الدائرة العالمية. فالاسلام انذارٌ وبشارةٌ ﴿...**كافّة للناس**﴾[٦٧]، بعد ان كان الانذار محصوراً بـ﴿...**ام القرىٰ ومن حولها**﴾[٦٨] ومن قبلهم بـ﴿...**عشيرتك الاقربين**﴾[٦٩].

ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخطط لاهداف استراتيجية بعيدة المدىٰ في المعارك التي كان يخوضها، لانه كان قائداً عسكرياً ملهماً من الطراز الاول، ولانه كان صلى الله عليه وآله مكلّفاً بدعوة الناس جميعاً الى الاسلام. وكان علي عليه السلام الىٰ جنبه دائماً الوسيلة القوية «التكتيك» التي تحقق نبؤات المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وطموحاته في نشر الدين علىٰ بقاع المعمورة. والاستراتيجية لا يمكن ان تحقق اهدافها ما لم يكن التكتيك فعالاً وحيوياً.

ولاشك ان تكتيك المعركة في ذاك الوقت كان ينصّب علىٰ شجاعة المقاتل بالدرجة الاولىٰ وبطولته القصوىٰ في انتزاع النصر من العدو؛ لان معارك الاسلام الاولىٰ ضد الشرك كانت معارك برية بسلاح رئيسي واحد هو السيف. فلم تكن

هناك معارك جوية وبحرية وبرية كما هو الحال اليوم مع عشرات الانواع من الاسلحة المعقدة. ولذلك فان اي معركة اسلامية تقع بدون وجود بطل استثنائي مقدام كعلي عليه السلام لا يُكتب لها النصر. فلم يحقق المسلمون شيئاً في معارك غاب عنها علي عليه السلام كمعركة ذات السلاسل، ومعركة خيبر قبل استلامه عليه السلام الراية، ومعركة مؤتة.

ان فلسفة الزمان والمكان تدعونا للايمان بان نزول الرسالة السماوية في ذلك الوقت وفي تلك البقعة من الارض، كان له معانٍ سامية تبقىٰ مع التأريخ والبشرية الىٰ يوم القيامة. فقد كان ذلك الزمان وسطاً بين تأريخ سابق وتأريخ لاحق، وكان ذلك المكان ولا يزال قلب العالم قديماً وحديثاً. وبذلك، فان احداثاً جسيمة ـ كاحداث الاسلام ومعاركه ضد الشرك ـ ستبقىٰ في ضمير البشرية يمكن فهمها واستيعاب معانيها الجليلة الىٰ آخر يوم يعيش الانسان فيه علىٰ وجه الارض. ولاشك ان احداثاً جسيمة كتلك كانت تقتضي وجود بطل عظيم مطيع يذود عن رسول الله صلى الله عليه وآله المخاطر، ويستوعب اهداف الرسالة، وعلىٰ استعداد تام للتضحية من اجل مبدئه. فكان علي عليه السلام يمثل ذلك الرجل المثالي الذي تفهمه البشرية في كل وقت وتفهم بطولته النادرة وتضحياته الجسيمة من اجل الاسلام.

وبلحاظ فلسفة الزمان والمكان لابد من الايمان بان اساليب القتال تتغير وتتبدل من زمن لزمن ومن مكان لمكان، الا ان الثابت الذي نفهمه في كل جيل هو اخلاقية الحرب وتعامل المحاربين فيها وطبيعة دوافعهم الخيرة. واذا فهمنا ذلك وآمنا بان اخلاقية الاسلام في الحروب كانت القمة في الكمال، استطعنا فهم بطولة علي عليه السلام وتضحياته في سبيل مبدئه وعقيدته. واذا كان قول النبي صلى الله عليه وآله للامام عليه السلام: «**ايه ايه. جاء الحق وزهق الباطل. ان الباطل كان زهوقاً**» يفُسَر بان الحق قد انتصر وسوف ينتصر، وان الباطل قد سُحق وسوف ينهزم في كل مرة يتواجد فيها مؤمنون مخلصون متفانون، فاننا لابد ان نؤمن بان تلك هي اهداف استراتيجية

بعيدة المدىٰ للاسلام ولرسالته السماوية. ومن هنا نفهم ان فتح مكة كان البوابة العظمىٰ للانفتاح على البشرية في القلب والعقل والادراك علىٰ طول الزمن.

● **وهناك دوران مهمّان للإمام عليّ عليه السلام في مكّة، تعرّض لهما السيّد الأعرجي وللضرورة نذكرهما:**

○ **اخلاقية رد الامانات الى الناس**

اقام علي عليه السلام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة يردّ الودائع ويقضي الديون[٧٠]. وكان وضعه عليه السلام مع المشركين في مكة خطيراً للغاية، فما الذي دعاه لذلك؟

إنّ الحديث عن رد الامانات الى الناس يقودنا الى الحديث عن الاخلاقية الدينية عند علي عليه السلام والتي تعلّمها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلاشك ان اهم ثمار الشخصية الاخلاقية التي كان يحملها عليه السلام هو أن سلوكه بين الناس كان ترجمة عملية لمفاهيم الدين. فهو الاسلام المتحرك في المجتمع، ومن هنا كان سلوكه الاخلاقي متطابقاً مع النظرية الاخلاقية للسماء. ومن الطبيعي فان السلوك الاخلاقي في رد الامانات والودائع وقضاء الديون يساهم في نشر الانسجام الديني والاخلاقي بين الناس. ومع ان مجتمع مكة كان مشركاً، الا ان العديد من افراده كانت عندهم القابلية علىٰ اعتناق الاسلام اذا لمسوا من الدين تغييراً في حياتهم الاجتماعية والاخلاقية.

فكان رد الامانات التي كانت بعهدة رسول الله صلى الله عليه وآله الى الناس مهمة ـ من الناحية الاخلاقية ـ الىٰ درجة ان تلك الاهمية كانت متناسبة مع حجم الخطورة التي كان يواجهها علي عليه السلام وهو في مكة دون مناصر. ورد الامانات تعدُّ من القيم الاخلاقية التي يحنُّ لها المجتمع الانساني ايّاً كان منشؤه وايّاً كانت اهدافه وطموحات اعضائه ومنتسبيه. ولاشك ان فضيلة الوفاء برد الامانة كان قد

امضاها الدين الحنيف، بينما اوكل رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بتنفيذ تلك المهمة الصعبة. ومن هنا نفهم امضاء الدين الاتفاق الاجتماعي حول الوفاء برد الامانة، لانها عمل خيّر يؤدي ـ عاجلاً او آجلاً ـ الىٰ استتباب الامن الاجتماعي والاقتصادي بين الناس، واظهار الروحية المثلىٰ للمسلم الملتزم بتعاليم الاسلام. وبذلك فقد عمل الاسلام في انارة الامور التالية:

اولاً: ان الوفاء برد الامانات كان عملاً اخلاقياً امضىٰ فيه الاسلام عمل رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها. حيث اؤتمن ﷺ باموال الناس وحاجاتهم، ولذلك شاع عنه ﷺ بانه الصادق الامين.

ثانياً: لم تؤخذ في قضية الوفاء برد الامانة حجم الخسارة والربح من حيث احتمالية مقتل علي عليه السلام من قبل مشركي قريش او انزال مطلق الاذىٰ به عليه السلام. وبذلك يعدُّ الوفاء برد الامانة من الاعمال الاخلاقية التي تنظر الىٰ قيمة العمل، لا الىٰ حجم الربح والخسارة.

ثالثاً: ان الوفاء برد الامانات طُبّق على المجتمع الوثني الكافر. حيث ان اغلب الذين ائتمنوا محمداً ﷺ بعد البعثة ولم يهاجروا الى المدينة وبقوا في مكة كانوا من الذين لم يسلموا بعد. ولذلك بقي علي عليه السلام في مكة لردها. ولو اسلموا لهاجروا. نعم بقي عدد قليل من المسلمين في مكة في الخفاء. ولكن لسان دليل الروايات المتعلق بهذه المسألة لايخص تلك القلّة، بل إن ظهور اللفظ يدل علىٰ اطلاقها على المسلمين وغيرهم. وفيه قوله تعالىٰ: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الىٰ اهلها**﴾[٧١]. وردّ الامانة الى الكافر فضلاً عن المسلم تعدُّ قيمة اخلاقية مُثلىٰ تبناها الاسلام، وحثَّ اتباعه والمؤمنين به علىٰ تطبيقها في حياتهم.

رابعاً: متانة الرابط بين الاخلاق والدين. فالاسلام هو الذي أمر برد الامانات الىٰ اهلها، حتىٰ لو كان اصحابها من المشركين. فيكون الوفاء برد الامانات من القيم الدينية الاجتماعية. ذلك أن الدين واحكامه الشرعية تدعوان

الى القيم الاخلاقية الفاضلة، وضرورة تطبيقها على النظام الاجتماعي.

خامساً: كان الوفاء برد الامانات من قبل الدين احتراماً للفرد المؤتمِن، ولا يمثلّ احتراماً لسلطة المشركين من قريش. وبذلك فقد كان الحكم هنا تحكيماً للحق على الباطل علىٰ مستوىٰ شريحة خاصة من الافراد من الذين وضعوا ثقتهم برسول الله ﷺ.

وبكلمة أخيرة، فان الوفاء برد الامانات الىٰ اهلها كشف عن قدرة الدين الفعالة على التمييز بين الابعاد الموضوعية والذاتية للقيم الاخلاقية. فقد كانت تضحية الامام عليه السلام في البقاء ثلاثة ايام متواصلة في مكة تضحية ذاتية، رغم المخاطر المحيطة به، من اجل ان يبقىٰ موضوع الوفاء برد الامانات حكماً ثابتاً يلتزم به المؤمنون الىٰ يوم القيامة.

○ **علي عليه السلام وسورة براءة: «لايؤدي عني الا رجل من اهل بيتي»**

رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة. وفي ذي الحجة من نفس السنة تحرك المسلمون بأمر رسول الله ﷺ لاداء فريضة الحج وكان علىٰ امرتهم ابي بكر. فلما «نزلت سورة التوبة (براءة) قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها الىٰ ابي بكر. فقال ﷺ: لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي. ثم دعا علي بن ابي طالب (رضوان الله عليه)، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذّن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنىٰ، انه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو الىٰ مدته... فعندما كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ. فقال: ايها الناس، انه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ فهو الىٰ مدته. وأجّلَ الناس اربعة اشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كل قوم الىٰ مأمنهم او بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة الا أحدٌ كان له

عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الىٰ مدة، فهو له الىٰ مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان»(٧٢).

وسورة براءة امرت بنقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين المشركين من العهد العام الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم، والعهود الخاصة بينه صلى الله عليه وآله وبين بعض قبائل العرب، وتحدثت عمن تخلّف من المنافقين عنه في تبوك، فكشفت سرائر الناس خصوصاً المنافقين. فكان عليّ عليه السلام البديل الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله في تبليغ تلك السورة المبعثِرة المقشقشِة الحافرة، بكل قوة، في مكة. فهو لا يخاف مشركاً ولا كافراً ولا شجاعاً ولا فارساً ولا راجلاً، بل انه ارعب في ساحات الوغىٰ ابطال المشركين وقتلهم شر قتلة. وكان اطهر الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله واكثرهم خشوعاً وتعلقا بالله سبحانه واكثرهم زهداً وتعففاً عن الدنيا.

ولذلك كان علي عليه السلام ابلغ المؤمنين في توصيل سورة (براءة) الىٰ عالَم ذلك الزمان، من اجل ايقاع اقصىٰ التأثير بهم، ليؤمنوا وتخشع قلوبهم لذكر الله سبحانه.

الهوامش :

(١) مجمع البيان الحديث، ٢: ٦١١.

(٢) خاتم النبيين، ٢: ٦٢٠ ـ الطبري، ٢: ١٦٣.

(٣) خاتم النبيين، ٢: ٦٢٧ ـ البحار، ٢١: ٩٤ وكل من ذكرها من المؤرخين.

(٤) الارشاد للشيخ المفيد: ٧١.

(٥) البحار، ٢١: ١٣٢ طبعة بيروت.

(٦) البحار، ٢١: ١١٦.

(٧) البحار، ٢١: ١١٦.

(٨) الطبري، ٢: ١٦٤.

(٩) نفس المصدر.
(١٠) اقتبس هذا من مجلّة ميقات الحجّ العدد الثاني.
(١١) ناشد: طالب ومذكِّر. والاتلد: القديم.
(١٢) يريد ان بني عبد مناف امهم من خزاعة، وكذلك قصي امه فاطمة بنت سعد الخزاعية.
(١٣) أعتد: حاضر، والمدد: العون.
(١٤) تجرد: شمر وتهيأ للحرب. وسيم: طلب منه وكلف. الخسف: الذل. وتربد: تغير الىٰ السواد.
(١٥) الفيلق: العسكر الكثير.
(١٦) كداء: موضع باعلىٰ مكة.
(١٧) الوتير: اسم ماء باسفل مكة لخزاعة. والهجد: النيام.
(١٨) عندما خسر ابو سفيان كل شيء اراد الضرب علىٰ وتر الرحم والدم، وهو الذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام من بني هاشم اشد القتال. لكنه اليوم يتحدث عن علاقة بني امية ببني هاشم من ناحية الرحم والاجداد!
(١٩) سيرة ابن هشام ٤: ٣٩.
(٢٠) سيرة ابن هشام ٤: ٤٥ ـ ٤٦.
(٢١) سيرة ابن هشام ٤: ٤٧.
(٢٢) سيرة ابن هشام ٤: ٤٩.
(٢٣) سيرة ابن هشام ٤: ٥٢.
(٢٤) سدانة البيت: خدمته.
(٢٥) سيرة ابن هشام ٤: ٥٤ ـ ٥٥.
(٢٦) مفتاح النجاء، البدخشي: ٤٦.
(٢٧) مسند احمد، رواه احمد بن حنبل باسناده عن ابي مريم عن علي عليه السلام ١: ٨٤.
(٢٨) سورة الاسراء: آية ٨١.
(٢٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢: ٣٦٦.
(٣٠) سيرة ابن هشام ٤: ٧٢.
(٣١) ميلغة الكلب: شيء يحفر من خشب، ويجعل ليلغ فيه الكلب. وكان يستعمل عند اهل البادية واصحاب الغنم.
(٣٢) سيرة ابن هشام ٤: ٧٢ ـ ٧٣.
(٣٣) سورة اسراء: آية ٨١.
(٣٤) سورة التوبة: آية ٣٣.
(٣٥) سورة طه: آية ١١٤.
(٣٦) سورة الكهف: آية ٤٤.

(٣٧) سورة الحج: آية ٦.
(٣٨) سورة يونس: آية ٣٢.
(٣٩) سورة الحج: آية ٦٢.
(٤٠) سورة الشمس: آية ٧ـ٨.
(٤١) سورة آل عمران: آية ٧١.
(٤٢) سورة النحل: آية ٧٢.
(٤٣) سورة الكهف: آية ٥٦.
(٤٤) سورة غافر (المؤمن): آية ٥.
(٤٥) سورة النساء: آية ٢٩.
(٤٦) سورة العنكبوت: آية ٥٢.
(٤٧) سورة المؤمنون: آية ٧١.
(٤٨) سورة الاسراء: آية ٨١.
(٤٩) سورة البقرة: آية ٢٥٦.
(٥٠) سورة البقرة: آية ٢٥٦.
(٥١) سورة النور: آية ٢٥.
(٥٢) سورة الانعام: آية ٦٢.
(٥٣) سورة يونس: آية ٣٢.
(٥٤) سورة الكهف: آية ٤٤.
(٥٥) سورة طه: آية ١١٤.
(٥٦) سورة الحج: آية ٦.
(٥٧) سورة النور: آية ٢٥.
(٥٨) سورة البقرة: آية ٢٦.
(٥٩) سورة البقرة: آية ١١٩.
(٦٠) سورة البقرة: آية ٢١٣.
(٦١) سورة المائدة: آية ٤٨.
(٦٢) سورة التوبة: آية ٣٣.
(٦٣) سورة النصر: آية ١ـ٣.
(٦٤) سورة سبأ: آية ٢٨.
(٦٥) سورة الاسراء: آية ٨١.
(٦٦) سورة ابراهيم: آية ٢٦.

(٦٧) سورة سبأ: آية ٢٨.
(٦٨) سورة الانعام: آية ٩٢.
(٦٩) سورة الشعراء: آية ٢١٤.
(٧٠) الطرائف، ابن طاووس ١: ٣٤.
(٧١) سورة النساء: آية ٤.
(٧٢) سيرة ابن هشام ٤: ١٩٠ ـ ١٩١.